الدرس الرابع

رفض حكم شاول

1صموئيل 13: 1–15: 35

1. مقدمة

كشفت الخطة الإلهية في تكوين 12–15 أن الله سيؤسس أمّة من نسل إبراهيم الذي سيكون وسيط البركة الإلهية. وقصَد الله أن تكون إسرائيل نوراً للأمم. ويتم هذا بدخول إسرائيل في عهد مع يهوه عند جبل سيناء وتبنّي الشريعة التي سترشدهم وتوجههم في طريق يهوه إيلوهيم. وبطاعتهم للشريعة لن يختبروا البركة فحسب، لكنهم سيكونون أمّة مقدسة أيضاً. وبهذه الصفة سيكونون شهادة لأمم العالم الأخرى عن عظمة يهوه إيلوهيم. وقد أظهر الله أمانته بإعطاء جيل مطيع الأرض الموعودة التي سيبدأ منها في تنفيذ البرنامج الإلهي. وسينجحون وهم يخضعون في طاعة وتواضع لملكية يهوه.

على الرغم من كل كرم يهوه في تسديد حاجات الأمّة، إلاّ أنهم فشلوا تحت النظام الثيوقراطي (الديني الإلهي). وبدلاً من أن يكونوا نوراً للأمم، صاروا "نهباً" للأمم الوثنية. ويرجع هذا إلى عصيانهم، كما سبق أن حذّرهم يهوه (تثنية 28). وفي نهاية الأمر انتهى حكم يهوه للأمّة عن طريق النظام الثيوقراطي (1صموئيل 4). وفضلاً عن ذلك، رفضت الأمّة حكمه الملكي (1صموئيل 8: 7) وفضّلت ملكاً بشرياً من وسطها. وعلى الرغم من دونيّة طبيعة مثل هذا الترتيب، إلاّ أن الله سمح بأن يكون الشعب تحت نظام ملكي بشري. غير أن خطته الإلهية للأمة (تكوين 12؛ 1صموئيل 12: 22) لم تتغير، كما لم تتغير مسؤولياتهم نحوه (1صموئيل 12: 14–15).

تكشف الأصحاحات الثلاثة التي تؤلّف هذا القسم (13–15) للأمّة عواقب اختيارها شاول ملكاً. فعلى الرغم من مواهبه العظيمة ونقاط قوّته الطبيعية، إلاّ أنه فشل في إنجاز قصد يهوه للأمة. ورغم مؤهلاته الممتازة، إلاّ أن قلبه لم يكن سليماً مع الله... إذ كان قلبه قلباً خائفاً ينقصه الإيمان. ولن تزدهر الأمّة تحت حكمه، وإنما سيتدهور حالها. وبهذا يكشف شاول حمق قرار الأمّة برفض يهوه كملك مفضّلين عليه ملكاً بشرياً. لقد قدّم الله شاول للشعب ملكاً سامحاً بذلك للشعب أن يرى ما يمكن أن يحدث مع ملك لا يلبّي مقاييس الله. وحالما يتضح ذلك، سيقيم الله ملكاً آخر من أجل التقدم بخطة الله للأمة، ألا وهو داود. سيكون له قلب سليم أمام الله، وسيقطع الله معه عهداً يقيم بموجبه من نسله ملكاً سيدوم مُلكه إلى الأبد.

إذاً أعود فأقول إن 1صموئيل 13–15 يبيّن رفض يهوه لحكم شاول، مبيّناً بذلك للأمّة عواقب اختيارهم شاول ملكاً.

2. ملاحظات

على الرغم من فشل شاول الواضح في هذه الأصحاحات، إلاّ أننا نلاحظ أنه يحقق نصراً عسكرياً عظيماً للأمة. لنلاحظ البيان التلخيصي لمآثره العسكرية في 1صموئيل 14: 47–48:

"وأخذ شاول المُلك على إسرائيل، وحارب جميع أعدائه حواليه. . . وحيثما توجَّه غلب. وفعل ببأسٍ وضرب عماليق، وأنقذ إسرائيل من يد ناهبه."

لا يعود النجاح إلى سلوك شاول الأمين، بل إلى قصد يهوه. ونحن نرى هذا في 1صموئيل 9: 16:

". . . فامسحْه رئيساً لشعب إسرائيل، فيخلّص شعبي من يد الفلسطيين، لأني نظرت إلى شعبي لأن صراخهم قد جاء إليّ."

نَبَع نجاح شاول من وعد يهوه بإقامة محرر استجابةً لصراخ شعبه إليه.[1] علينا أن نضيف هذا إلى لاهوتنا وعقيدتنا. فمع أن الأصحاحات 13–15 تكشف رفضاً لحكم شاول الملكي، إلاّ أن يهوه يحقق مقاصده في نفس الوقت. يكشف وجود شاول حماقة قرار الأمّة، غير أنه ساهم في تقدُّم ومقاصد الله. ويمكننا القول إن يهوه كان يستخدم شاول، مع أن هذا لا يعني بالضرورة أن شاول كان مُرْضياً له.

تعليق: يجب أن ندرك هذه الحقيقة إدراكاً قلبياً. فالله يستخدم أشخاصاً كثيرين في الخدمة، لكن هذا لا يشكّل ختم مصادقة على حياتهم. "إننا نطمح إلى أن نكون مُرْضين للرب،" لكن يوجد أشخاص كثيرون غير مُرْضين للرب – على الرغم من أن الله يستخدمهم لعمل أشياء عظيمة له.

[1] إن اللغة المستخدمة في 1صموئيل 9: 16 مشابهة إلى حد مذهل للغة خروج 2: 23–25. فردّا على بني إسرائيل الذين صرخوا إلى يهوه لكي يحررهم من اضطهاد الفرعون، أقام الله موسى محرِّراً. وبنفس الطريقة، أقام الله شاول استجابة لصراخ شعب الله إليه. وفي فقرة سفر الخروج، قيل إن الله فعل هذا في ضوء العهد الإبراهيمي (خروج 2: 24)، وعلى الأرجح أن هذا أمر متضمَّن في 1صموئيل 9: 16.

توجد ملاحظة أخرى تتمثل في استخدام يوناثان (ابن شاول) في الرواية. يمثّل يوناثان نقيضاً صارخاً لشاول. فما كان ناقصاً عند شاول، كان يملكه يوناثان. وكان على شاول أن يكون كل ما كانه يوناثان. بل إن يوناثان يُستخدم لإظهار نقاط ضعف شاول. ونحن نلاحظ هذا أول ما نلاحظه في 1صموئيل 13: 3 فصاعداً. يشنّ يوناثان هجوماً على الحامية الفلسطينية، مما يجعل بني إسرائيل يشتبكون في معركة كبيرة مع الفلسطينيين. ويحضّر هذا الأمر المشهد الذي يقوم فيه الملك شاول بتصرف أحمق يقدّم فيه ذبيحة، فيوبّخه صموئيل على ذلك. ومرة أخرى يُستخدم يوناثان في الأصحاح الرابع عشر لبدء النصر الذي يصدر فيه شاول مرسوماً أحمق لمحاربيه. إلاّ أن هذا المرسوم يرتد عليه، بتجاوز يوناثان البريء له، ويؤدّي هذا إلى خلق صراع بين مرسوم الملك وإرادة الشعب. وينكشف شاول بصفته ملكاً ضعيفاً فاشلاً لا يستطيع حشد الولاء الكلي له من قبل شعبه؛ ومختصر القصة أنه يفقد ماء وجهه ويعرّض نفسه للخزي، ولا يحوز على احترام شعبه.

3. رفض يهوه لحكم شاول (1صموئيل 13–15)

أ. أول فشل ذريع لشاول (1صموئيل 13)

أدّى هجوم يوناثان على الحامية الفلسطينية إلى اشتباك إسرائيل مع الفلسطينيين في معركة كبيرة (13: 1–7). لم يكن هذا عملاً أحمق من جانب يوناثان. فقد عرف على الأرجح قصد يهوه في تغلب بني إسرائيل على الفلسطيني (9: 16)، وربما أحسّ بأن الوقت قد حان لتوجيه الضربة إليهم قبل أن يتمكنوا من تثبيت أنفسهم في المنطقة الجبلية. أمّا شاول فقد رسّخ نفسه في الجلجال (قرب الأردن) وانتظر وصول صموئيل كما طُلب إليه (انظر 10: 8).

نفذ صبر شاول وهو ينتظر صموئيل، فاتخذ قراراً أهوج بتقديم الذبائح بنفسه آملاً توحيد الشعب وربما السعي إلى معرفة إرادة الله.[2] وربما كان تأخُّر وصول صموئيل امتحاناً لإيمان شاول وصبره، إذ وصل صموئيل فور انتهاء شاول من ارتكاب غلطته الفظيعة. ربما كان توبيخ صموئيل لشاول ليس فقط لمجرَّد تقديم شاول لذبيحة – وهو واجب كهنوتي محض حسب الشريعة (انظر 1ملوك 3: 4، 15). فربما كان موجَّهاً أيضاً إلى نفاذ صبر شاول وعصيانه بعدم انتظاره الإرشاد النبوي. وقد حاول شاول أن يعقلن قراره (حيث قدَّم ثلاثة

[2] يرى هيتر أن المسألة لم تكن أن شاول قدم الذبائح بنفسه. يقول، "لم يتمثل فشل شاول في تطفُّله على منصب الكاهن (فعلى الأرجح أنه قدّم الذبائح من خلال كهنة)، لكنه تمثّل في عدم انتظاره لصموئيل فلم يحصل على بركة الله" (Homer Heater, "A Theology of Samuel and Kings, "In *A Biblical Theology of the Old Testament*, ed. Roy B. Zuck (Chicago: Moody Press, 1991), 140.

أعذار في 13: 11)، لكنه لا يزعم أبداً أنه أساء فهم الإرشاد الذي سبق أن أُعطي له. لقد عصى شاول الرب، وبسبب ذلك التصرف الأحمق، أعلن صموئيل دينونة الله عليه:

"وأمّا الآن فمملكتك لا تقوم. قد انتخب الرب لنفسه رجلاً حسب قلبه" (13: 14).

ب. المقابلة بين شخصيتي شاول وناثان (14: 1–52)

يبيّن هذا الأصحاح المقابلة بين شاول ويوناثان. إذ يظهر يوناثان إيماناً وشجاعة وغيرة لتنفيذ إرادة يهوه (14: 6). وهو يقدم نموذجاً للصفات المطلوبة في الشخص الذي ينبغي أن يقود إسرائيل. ويبرز لنا النصف الثاني من الأصحاح الوضع الذي يدخل فيه شاول ويوناثان في صراع أمام كل الشعب. وقد أدّى قسم شاول (النابع من مرسوم أحمق – 14: 24، 29–30) إلى إدخاله في مواجهة محرجة مع الأمة كلها. ويحاول شاول أن يدعم قسمه (14: 44)، لكن لا مجال لنجاح ذلك – حيث إن يوناثان هو البطل القومي. ويظل شاول ملكاً ضعيفاً فاشلاً في عيون الأمة، فهو يتخذ قرارات حمقاء ويفتقر إلى احترام الشعب اللازم لتنفيذ قراراته ومراسيمه. إنه غير ملائم للحكم. ويرى الشعب هذا ويدركون حماقتهم في رغبتهم في أن يكون ملكاً عليهم. وكان يهوه قد أعلن في الأصحاح 13 أن شاول غير جدير أو لائق بالحكم. ولا بد أن توافق الأمة على هذا الأمر في الأصحاح 14. وكان صمت الله استجابةً لسؤال شاول حول مهاجمة الفلسطينيين علامة على أن الله رفض شاول.

"وقال شاول، 'لننزل وراء الفلسطينيين ليلاً وننهبهم إلى ضوء الصباح ولا نُبقِ منهم أحداً؛ فقالوا: 'افعل كل ما يحسن في عينيك.' وقال الكاهن: 'لنتقدم هنا إلى الله'. فسأل شاول الله: 'أأنحدر وراء الفلسطينيين؟ أتدفعهم ليد إسرائيل؟' فلم يجبه في ذلك اليوم" (1صموئيل 14: 36–37).

جـ. رفض شاول كملك (15: 1–35)

يحمل المشهد النهائي في هذه الأصحاحات الثلاثة أكثر الإدانات قسوة لحكم شاول. وفشله المذكور في الأصحاح 15 أكثر خطورة من ذاك المذكور في الأصحاح 13. كان شاول في الأصحاح 13 تحت ضغط، وربما أمكنه القول إنه اتخذ قراراً سيئاً في ضوء ظروفه. غير أنه لا يوجد أي عذر لتصرّفاته في الأصحاح 15. ويتكشف لنا أنه شخص غير مهتم بشكل كامل بعمل إرادة يهوه. ويؤكّد الأصحاح 15 مرة أخرى طبيعة قلبه المتمردة التي ظهرت في الأصحاح 13.

تُعطى لشاول تعليمات واضحة في 15: 1–3. إذ ينبغي عليه أن يقضي على عماليق قضاءً كاملاً (لنلاحظ الفعل *ḥāram* "حرم"). لم يكن هذا الأمر عملاً قاسياً من جانب الله، لأن عماليق هم الذين حاولوا منع إسرائيل من التقدم إلى داخل شبه جزيرة سيناء (انظر خروج 17). وقد وعد الرب في ذلك لوقت بأن عماليق ونسله سيُقضى عليهم قضاءً تاماً (خروج 17: 14). والآن كُلِف شاول بتنفيذ هذا الوعد.

نفّذ شاول هذا الأمر، لكن بصورة جزئية فقط. فقد عفا عن الملك أجاج وسمح بالاستيلاء على أفضل الغنائم بدلاً من تدميرها كلّيّاً كما سبق أن أمر الرب. ويبرز النص على أن هذا التصرُّف كان عصياناً متعمَّداً واضحاً: "وشاول والشعب... لم يرضوا أن يحرّموها" (15: 9). وإن أكثر ما يقزّز في هذا الأمر هو موقف شاول. ففي 15: 2 يقال لنا إن شاول "نصب لنفسه نصباً." وهذا هو المجد الوحيد الذي سيحصل عليه، لأن الرب لن يعطيه مجداً. وفضلاً عن ذلك، عندما يقوم صموئيل بمواجهته، سيحاول أن يلوم الشعب على عدم طاعته (15: 15) ويبرّر عمله تحت ذريعة أنه كان يُقصد بالحيوانات أن تكون ذبيحة.

لكن صموئيل لا يصدق رواية شاول، ويعلن دينونة عليه (15: 22–23). وفي قول صموئيل إن "الاستماع أفضل من الذبيحة،" إشارة إلى أن الذبائح لا تهم الله. والفكرة هي أن الله يُسَر بالطاعة الحقيقية أكثر مما يُسَر بذبح حيوان. يقول جون جي. ديفيس:

> كان تقديم ذبيحة حقيقية علامة أصيلة على الإيمان والطاعة. وإذا كانت الذبائح تقدَّم في ارتداد وعدم إيمان، فإنها كانت بلا قيمة كذبائح الكنعانيين في نظر الله القدّوس (انظر إشعياء 1: 11؛ 66: 3؛ إرميا 6: 20؛ هوشع 6: 6؛ ميخا 6: 6–8).[3]

يتهم صموئيل شاول بالتمرد ويعلن أن يهوه قد رفضه ملكاً (15: 23–26). ليس شاول ممثلاً لائقاً ليتوسط بركة الله للأمّة أو لقيادتها في قصدها الإلهي. والرفض النهائي لحكم شاول في الأصحاح 15 هو بمثابة تعقيب ملائم على قرار الأمّة غير الحكيم

[3] John J. Davis, *The Birth of a Kingdom* (Grand Rapids, MI: Baker, 1970), 63.

بالمطالبة بملك. والآن، وبعد أن أثبت الله هذا الأمر، سيشرع في إقامة ملك آخر يرغب قلبه في أن يرضي الله بالفعل. وعلى الرغم من أن الحكم الملكي البشري هو ترتيب أدنى ممّا يريده الله، إلاّ أن الله يتسامح معه ويتقبَّلُهُ، ويستمر في نعمته في ممارسة حكمه على الأمّة من خلاله. ومنذ هذه النقطة في الرواية فصاعداً، يظل شاول أحد شخوص الرواية، على الرغم من أنه من وجهة نظر لاهوتية مرفوض في نظر الله. وتؤكد الآية الأخيرة في الأصحاح 15 هذا الأمر: "ولم يعد صموئيل لرؤية شاول إلى يوم موته، لأن صموئيل ناح على شاول، والرب ندم لأنه ملَّك شاول على إسرائيل" (15: 35). ومنذ هذه اللحظة فصاعداً، سيبدأ داود بأخذ الدور المركزي.

درس لحياتنا

"الاستماع أفضل من الذبيحة!" ما زالت هذه الكلمات تنطبق على يومنا هذا. وإنه لأمر سهل أحياناً أن نستبدل الطاعة الحقيقية بطقوس وممارسات دينية شكلية. ويعني هذا أنه يمكننا أن ننشغل بأمور دينية أو بالقيام بحركات دالّة على الخدمة الدينية، في نفس الوقت الذي نكون فيه غير مطيعين لله. إن ما يريده الله هو "الطاعة الحقيقية،" ولا يمكن أن يكون هنالك أبداً أي بديل لذلك. قد نبدو في الظاهر مطيعين أمام الآخرين، لكن الله يعرف حقيقة قلوبنا. فدعنا لا "نتظاهر" بالطاعة كمؤمنين بالمسيح. وإن كانت هنالك أية ناحية في حياتك لا تطيع فيها الرب، فماذا لا تعترف بخطيتك وتتركها؟ فما أجمل أن يكون المرء في شركة حقيقية مع الله!